الخطوط والكتابات على نقود دار ضرب الإسكندرية

سهام المهدي

دار الضرب هي المكان المسئول عن إصدار النقود المتعامل بها، وقد أطلق على هذا المكان اسم – دار الضرب– في مشرق العالم الإسلامي، أما في غربه فقد أطلق عليه اسم –دار السكة– وكانت دار الضرب أو السكة تقوم بكل ما تقتضيه عملية إصدار النقود من إعداد السبائك اللازمة لإصدار النقود، وتخليصها من الشوائب، وضبط عيارها وتدويرها، وإعدادها لعمل النقوش المطبوعة عليها والختم عليها، وكانت تخضع في إدارتها للسلطة المركزية للدولة.

لم يكن للعرب في بداية الإسلام نقود خاصة بهم، وإنما استخدموا النقود المتداولة حينذاك، وهي النقود الفارسية، واليمنية الفضية، والبيزنطية الذهبية؛ لذا فقد استخدموا دور الضرب الموجودة في البلاد التي قاموا بفتحها.

وكان عبد الملك بن مروان أول من أنشأ دارًا لسك النقود الإسلامية في دمشق، ثم توالى إنشاء دور الضرب في جميع الأقاليم الإسلامية.

في مصر كانت دار الضرب الرومانية بالإسكندرية، تضرب نقودًا نحاسية مميزة ذات ١٢ نمية، نقش عليها اسم الإسكندرية بحروف يونانية AVEX ، قام المسلمون بضرب فلوس نحاسية سميكة مماثلة لها.[١] هذا ولم يصلنا من الإصدارات النقدية لدار الضرب بالإسكندرية قطع نقدية، تعود إلى ما قبل منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث وصلنا دنانير ذهبية تحمل اسم مدينة الإسكندرية كمكان للضرب.

لسنا هنا بصدد مناقشة عوامل نشأة دار الضرب بالإسكندرية في هذا التوقيت، ولكننا نقول في عجالة إن الظروف الاقتصادية والسياسية في مصر كانت مهيأة لإنشاء دار ضرب إضافية، وخاصة بالإسكندرية حيث كان للمدينة شهرتها التجارية التي تضاعفت في منتصف خلافة الإمام معد أبي تميم المستنصر بالله، إذ لعبت الإسكندرية دورًا فعَّالاً في التجارة العالمية، نوجزها فيما يلي:

(صورة ١) دينار الإمام المستنصر بالله الفاطمي – دار ضرب الإسكندرية سنة ٤٦٥ هـ.

(صورة ٢) دينار الإمام المستنصر بالله الفاطمي – دار ضرب الإسكندرية سنة ٤٨٢ هـ.

(صورة ٣) دينار الإمام الآمر بأحكام الله الفاطمي– دار ضرب الإسكندرية سنة ٥٠٣هـ.

١ – استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية لمصر، بعد أن تخلصت من مشاكلها الداخلية وما مر بها من أزمات اقتصادية، أدى ذلك إلى ازدياد علاقاتها مع الدول الأوروبية وخاصة المطلة على حوض البحر المتوسط، لتزويدها بالمواد اللازمة لبناء السفن، مقابل تصدير المنتجات المحلية المصرية إليها.[٢]

٢ – أما بالنسبة لأوروبا فقد حدث تغير جذري في نظمها الاقتصادية، حيث صارت مدن شبه الجزيرة الإيطالية رائدة للنشاط الاقتصادي والتجاري، واحتلت به مركز الصدارة كقوة بحرية تجارية في عالم البحر المتوسط،[٣] فما إن جاء عام ٤٣٥ هـ/١٠٤٣م حتى كان الإيطاليون يمتلكون أقوى الأساطيل البحرية التجارية والحربية،[٤] وفي هذا الوقت كان الأوروبيون يفضلون طريق مصر في نقل التجارة الشرقية إلى أوربا، لقربها من شواطئهم وموانئهم، ولأنه أكثر أمنًا وأمانًا، خاصة بعد قيام الدولة السلجوقية في العراق وآسيا الصغرى وتهديدها لمصالح الدولة البيزنطية.[٥]

٣ – ارتفاع عيار الدينار الفاطمي، مقابل انخفاض عيار كل من الدينار العباسي والبيزنطي،[٦] حيث عرف عن الفاطميين تمسكهم بالتعامل بالدينار الفاطمي منذ مجيئهم إلى مصر؛ لأنه يحمل الطابع السياسي والديني للدولة الشيعية.[٧]

٤ – الموقع الجغرافي لمدينة الإسكندرية كميناء يطل على البحر المتوسط، جعل لدار الضرب بها وظيفة خاصة، وهي ورود سبائك الذهب والفضة مع التجار المارين بها والحاجة إلى ضربها عملة مصرية، حيث إن أوروبا لم تعرف سك النقود الذهبية إلا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، ومن ثم كان على دار الضرب تقدير سعر الصرف بين العملات والسبائك المختلفة.

واستمرت دار ضرب الإسكندرية في ضرب الدنانير الذهبية حتى عصر الملك المؤيد شيخ (عصر المماليك الجراكسة)، كما ضربت بها الفلوس النحاسية منذ عصر الملك الأشرف شعبان (عصر المماليك البحرية)، وزاد من أهميتها في ضرب الفلوس النحاسية بعد إنشاء دار ضرب إضافية لذلك في عصر الملك الظاهر برقوق (عصر المماليك الجراكسة)[٨] بسبب كثرة الوارد من النحاس مع التجار، في مقابل تسرب الذهب والفضة معهم من مصر.

أولاً: تطور الخطوط على نقود الإسكندرية

تعتبر الإصدارات النقدية لدار ضرب الإسكندرية معرضًا رائعًا لدراسة تطور الخطوط العربية على المسكوكات الإسلامية، فمن المعروف أن الخط الكوفي البسيط كان أول الخطوط المستخدمة على المسكوكات الإسلامية، ثم بدأ تطور الخطوط المستخدمة على المسكوكات على مراحل بطيئة، على عكس ما كان من تطوره السريع على العمائر والمنتجات الفنية.

(صورة ٤) دينار الإمام الآمر بأحكام الله الفاطمي– دار ضرب الإسكندرية سنة ٥١٢هـ.

وإذا تتبعنا تطور الخطوط على المسكوكات الإسلامية في دار ضرب الإسكندرية، وجدنا أنه في العصر الفاطمي استخدم الخط الكوفي المتقن الطرف على بعض الأمثلة، كما استخدم الخط الكوفي المورق، أو الذي تلحق حروفه عناصر نباتية بسيطة على أمثلة أخرى.

وفي العصر الأيوبي، استخدم الخط الكوفي مع إضافة بعض التوريقات لبعض الكلمات بالذات مثل كلمة (عال) في دنانير الملك الناصر صلاح الدين يوسف وابنه العزيز عثمان، حيث أُلحق بحرف اللام فرع نباتي ينتهي بزهرة، كما يخرج من أطراف الحروف المنخفضة مثل الواو والنون والراء فروع نباتية، كما نقشت بعض الحروف بشكل زخرفي رائع، فعلى سبيل المثال شُكِّل حرف الهاء في صورته الوسطى على هيئة ثمرتين مستديرتين يخرج من بينهما فرع نباتي، في حين شكل نفس الحرف على هيئة سلسلة عندما يأتي في بداية الكلمة، كما شكل حرف العين في صورته الوسطى على شكل معين.

استخدم الناصر صلاح الدين وابنه العزيز عثمان، وكذلك الملك العادل أبو بكر الخط النسخ على بعض إصداراتهم من الفلوس الصادرة عن دور الضرب الشامية،[٩] ولكنهم التزموا باستخدام الخط الكوفي على إصداراتهم من الدنانير الذهبية، إلى أن جاء الملك الكامل فاستخدم الخط النسخ على دنانيره الذهبية منذ عام ٦٢٣هـ سواء الصادرة عن دار ضرب القاهرة أو دار ضرب الإسكندرية،[١٠] وهو تطور بطيء لاستخدامات الخط من خلال المسكوكات، فقد سبق استخدام الخط النسخ على العمائر والتحف المنقولة منذ بداية عصر صلاح الدين، مثلما وجد منقوشًا أعلى الباب من خلال النص المعروف بنص باب المدرج بقلعة الجبل والمؤرخ بعام ٥٧٩هـ، وأيضًا على تابوت الإمام الشافعي وتابوت أم الملك الكامل وغير ذلك.

وقد استمر استخدام الخط النسخ على المسكوكات المملوكية حتى نهاية عصر الملك المنصور قلاوون (عصر المماليك البحرية)، ثم بدأت المرحلة الثالثة من تطور الخطوط العربية على المسكوكات الإسلامية المصرية باستخدام الخط الثلث على مسكوكات الأشرف خليل بن قلاوون، وصار الخط السائد على نقود الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن جاء بعده من أبناء وأحفاد ومن اعتلى تخت السلطنة من سلاطين المماليك، وحتى نهاية إنتاج دار ضرب الإسكندرية من الإصدارات النقدية.

ثانياً: تطور الكتابات على نقود الإسكندرية

١ – الكتابات على النقود الفاطمية

احتوت الكتابات المسجلة على الدينار الفاطمي السكندري على الكتابات المعتادة على النقود الفاطمية الصادرة عن دور الضرب الأخرى، ومن تلك الكتابات:

أ – العبارات الدينية

احتوت النقود الفاطمية على عبارات دينية مقتبسة من الآيات القرآنية، وخاصة من سورة الفتح و سورة الصف، مثل آية (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) التي احتلت الهامش الخارجي للدينار في صيغة (محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين ولو كره المشركون)، وهي عبارة حرص

المسلمون على نقشها منذ ضربت النقود الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٧هـ، تعبيرًا عن أسس الدين الإسلامي. كما سجلت الشهادتان (لا اله إلا الله محمد رسول الله)، يتبعها عبارة(علي ولي الله).

ب- الألقاب العامة والخاصة

سجلت على النقود الفاطمية الألقاب العامة الشائعة على النقود الإسلامية مثل عبارة (الإمام) و(أمير المؤمنين) و(عبد الله و وليه) و(ولي عهد المسلمين). كما اتخذ الأئمة والخلفاء ألقابًا خاصة مثل (المستنصر بالله) و(المستعلي بالله) و(الآمر بأحكام الله) و(الحافظ لدين الله) و(الظافر بأمر الله) و(الفائز بنصر الله) و(العاضد لدين الله)، أسوة بألقاب الخلفاء العباسيين ببغداد. يقول الدكتور حسن الباشا وكلها ألقاب ترمز إلى مكانة الخليفة الدينية.[١١]

ومن تلك الألقاب لقب (ولي عهد المسلمين) وهو من الألقاب التي يتخذها من سيخلف أمير المؤمنين، وهو لقب وحيد اتخذه أبو الميمون عبد المجيد الذي لقب فيما بعد بالحافظ لدين الله عندما بويع وليًا للعهد مؤقتًا منذ عام ٥٢٤هـ بعد مقتل الإمام الآمر، ولكن أبا علي بن الأفضل سجنه وتولى الأمور بنفسه حيث ضرب الدنانير باسم الإمام المنتظر إلى أن قتل ابن الأفضل في شهر المحرم سنة ٥٢٦هـ، فأخرج عبد المجيد من سجنه وجددت له البيعة بولاية العهد في نفس الشهر.[١٢] أما لقب (عبد الله ووليه) فقد سجل على نقود الإمام الحاكم بأمر الله بمصر سنتي ٤٠٤، ٤١١هـ من خلال عبارة (عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وعبد الرحيم ولي عهد المسلمين)، وهو اللقب الذي اتخذه الخلفاء العباسيون الهادي والأمين والمأمون أعوام ١٦٤، ١٦٧، ١٨٢، ١٩٥هـ[١٣].

جـ- العبارات المذهبية

بالإضافة إلى العبارات الدينية والألقاب العامة والخاصة، فقد سجلت على الإصدارات النقدية للدولة الفاطمية، عبارات مذهبية توضح مذهب الدولة الشيعي، ولأن الكتابات على الدينار الفاطمي ذات طبيعة دعائية، حيث استخدم الفاطميون النقود بما سجل عليها من شعارات في الدعاية لمذهبهم في البلاد التي طمعوا في الاستيلاء عليها، فقد عثر على دنانير فاطمية تحمل اسم مصر كمكان ضرب، مؤرخة بتاريخ يسبق تاريخ الفتح الفاطمي بسنوات، وكذلك في بلاد اليمن خاصة في مدينة زبيد قبل أن يفتحها الصُليحيون الموالون لهم.

وقد مرت العبارات المذهبية بمراحل تطور بحسب الظروف التي مرت بها الدعوة الفاطمية، وحيث إن دار ضرب الإسكندرية قد أنشئت متأخرة عن دور الضرب الفاطمية الأخرى، فإن بعض العبارات لم تسجل على إصداراتها النقدية، ومن العبارات التي

(صورة ٥) دينار الإمام الآمر بأحكام الله الفاطمي- دار ضرب الإسكندرية سنة ٥١٩هـ.

(صورة ٦) دينار الملك الناصر صلاح الدين يوسف – دار ضرب الإسكندرية الطراز الأول مع الخليفة العباسي المستضئ.

سجلت على نقود الإسكندرية، والتي يخص بعضها الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والبعض الأخر يدل على مكانة الخليفة الدينية:

- **علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين**

نقشها الخليفة الرابع المعز لدين الله، ثم أعادها الخليفة المستنصر بالله، وهي عبارة تعبر عن المعتقد الشيعي بأن الإمام علياً هو وصي الرسول (ص) استناداً إلى تفسيرهم الخاص لأحاديث الرسول وبما يتفق مع معتقداتهم،[١٤] وهي بمثابة الإعلان الرسمي عن النظام السياسي الفاطمي.

- **علي ولي الله**

نقشت هذه العبارة لتعبر عن إيمان الفاطميين بأحقيتهم في حكم المسلمين لوصية النبي (ص)،[١٥] وبناء على ما جاء على لسان الرسول الكريم جعل الفاطميون هذا الاعتقاد أساساً لعقيدتهم الدينية، وحجة للمطالبة في حقهم الشرعي في الإمامة، وأن تكون إرثاً في بيت الإمام علي إلى يوم الدين.[١٦]

وقد نقشت هذه العبارة على الدنانير السكندرية وغيرها، واختلف موضعها بحسب طراز الدينار. فقد يمكن أن تسجل كلمة (علي) في صدر الكتابة المركزية و كلمة (ولي الله) أسفلها، كما قد تسجل العبارة كاملة أسفل الكتابة المركزية. وفي إصدار آخر ظهر بعد المستنصر بالله، واستمر إلى نهاية الدولة الفاطمية نقشت العبارة في الهامش الداخلي متممة للشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله).[١٧] (صورة ١، ٢)

- **دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد**

تعد هذه العبارة غاية المبالغة والتطرف لمعتقدات الشيعة نحو تقديس الخلفاء لأنفسهم بحيث جعلت الأئمة الفاطميين في مصاف الرسل بالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده كورثة لعلي بن أبي طالب المستحق لخلافة الرسول، حيث يرون أنهم خلفاء الله في الأرض تبعًا لخلافتهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال تلك العبارات والألقاب، عرفنا أن النقود كانت إحدى وسائل الدعاية للمذهب الشيعي، كما أعلنت أيضًا عن محاولات التغيير السياسي والمذهبي من المذهب الإسماعيلي إلى مذهب الإمامية الإثنا عشرية في دينار محفوظ بمجموعة دار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٨٨، يحمل اسم الإمام محمد أبي القاسم المنتظر لأمر الله أمير المؤمنين، وهو اسم لخليفة غير موجود ضربه أبو علي بن الأفضل، فعندما قتل الخليفة الآمر بأحكام الله، بويع أبو الميمون عبد المجيد الحافظ بولاية العهد مؤقتاً لحين الوثوق من وجود ولي عهد للخليفة الآمر من جارية تركها حاملاً، وعندما تولى أبو علي الأفضل أمير الجيوش وكان شيعياً على مذهب الأمامية الإثنا عشرية، اعتقل عبد المجيد، ودعا للإمام المنتظر[١٨]

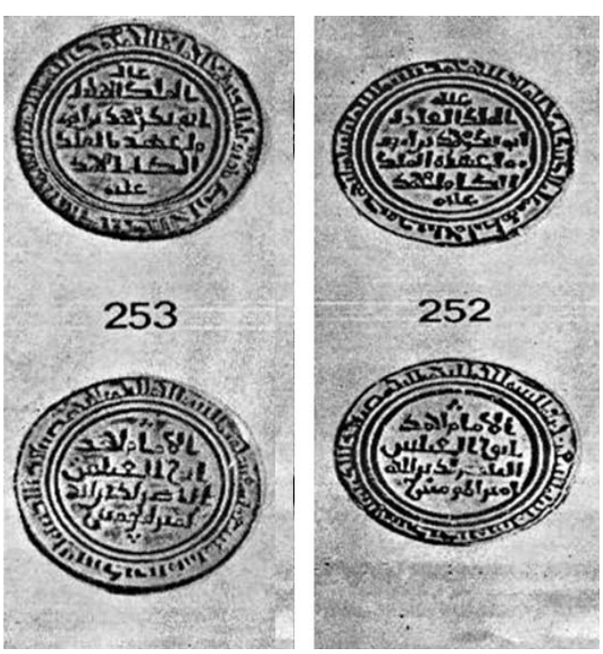

(صورة ٧) دينار الملك العادل ابو بكر بن ايوب – دار ضرب الإسكندرية.

وضرب النقود باسمه في داري ضرب القاهرة والإسكندرية.[١٩](صور٣، ٤، ٥)

٢ – الكتابات على النقود الأيوبية

عبرت الكتابات على النقود الأيوبية السكندرية وغيرها من إصدارات دور الضرب الأخرى، على التغير المذهبي للدولة من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، تأكيدًا على عودة مصر إلى حوزة الخلافة العباسية في بغداد.

ويتجلى هذا التغير في الحرص على تسجيل اسم الخليفة العباسي المعاصر على الإصدارات النقدية إلى جانب اسم السلطان الأيوبي، كما تميزت النقود الأيوبية بتعدد العبارات الدينية التي تؤكد هذا التغيير.

وقد سجلت الكتابات على الدينار الأيوبي السكندري، على شكل ثلاثة أسطر دائرية متتالية متحدة المركز، حول كتابة مركزية، يفصل بين كل منها حلقة بارزة.

وقد ضربت النقود الأيوبية في بداية عهد الدولة باسم السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، حيث كان صلاح الدين يوسف يحكم البلاد نيابة عنه في الفترة ما بين عامي ٥٦٧:٥٦٨هـ. وقد احتل اسم ولقب نور الدين محمود مركز وجه الدينار، وجزءً من الكتابة الدائرية الداخلية، أما الدائرتان الثانية والثالثة فقد اشتملتا على عبارات دينية مماثلة لما كانت عليه في الدينار الفاطمي، مع التأكيد على الرسالة المحمدية والصلاة على النبي وعلى آله.

مثال:

الدائرة الخارجية:

محمد رسول الهه، أرسله ببالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الدائرة الوسطى:

محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .

(صورة ٨) دينار الملك الكامل محمد بن العادل – دار ضرب الإسكندرية سنة ٦٢٨هـ.

الدائرة الداخلية:

وسلم تسليمًا الملك العادل.

المركز:

عال

محمود

بن زنكي

غاية

وتعبر كلمتا عال وغاية عن جودة العيار، وهما من الموروثات النقدية الفاطمية. أما الظهر فقد احتوت الدائرة الخارجية على البسملة ومكان الضرب وتاريخه.

الدائرة الوسطى:

لا اله إلا الله وحده لا شريك له أبو محمد.

الدائرة الداخلية:

المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين.

المركز:

الإمام

الحسن

وهو اسم ولقب الخليفة العباسي في بغداد.

وقد ورثت نقود صلاح الدين هذا الطراز من الكتابات، بعدما خلص له ملك مصر، واستمر هذا الطراز متداولاً حتى نهاية خلافة الإمام المستضيء سنة ٥٧٥هـ.

وقد اتخذ صلاح الدين في هذه الفترة لقبه المعروف به 'الملك الناصر يوسف بن أيوب'.(صورة ٦)

وفي فترة حكم صلاح الدين المعاصرة لفترة حكم الخليفة العباسي 'أحمد أبو العباس الناصر لدين الله'، لوحظ تغير طراز الدنانير، فصارت الكتابات عبارة عن كتابة مركزية يدور حولها سطران من الكتابات الهامشية، ومن ثمَّ اختصرت النصوص السنية الخاصة بالصلاة على النبي والسلام عليه وعلى آله . ربما يرجع ذلك إلى استقرار الأمور لصلاح الدين بعد التخلص من مراكز القوي الشيعية في مصر.

كما يلاحظ قيام صلاح الدين بتغيير لقبه من الملك الناصر يوسف إلى الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، وخاصة على الدنانير الصادرة عن داري ضرب الإسكندرية والقاهرة فقط، في حين جمع بين اللقبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف على طرز دراهم وفلوس صادرة عن دور الضرب في الشام وبلاد الجزيرة.[٢٠]

(صورة ٩) دينار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس – دار ضرب الإسكندرية قبل إحياء الخلافة العباسية.

وتتميز النقود الأيوبية بتسجيل الألقاب الملكية عليها، فقد اتخذ صلاح الدين لقب 'الملك الناصر' وهو اللقب الذي أنعم به عليه الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله عندما فوض إليه أمر الوزارة، حيث عرف به في الوثائق وبين العامة، وقد تخلى صلاح الدين الأيوبي عن هذا اللقب بعد أن تولى الخليفة العباسي أبو العباس أحمد، الذي تلقب بلقب الناصر لدين الله بعد لوم الخليفة له، وخاصة على الدنانير الذهبية المصرية، باعتبارها النقود الرسمية للدولة، غير أنه عاد وتلقب به مرة أخرى.[٢١]

ويلاحظ على ألقاب السلاطين الأيوبيين التاليين لصلاح الدين، أنها لم تكن ذات درجة عالية من التفخيم، وإنما اقتصرت على لقب الملك متبوعًا بنعت خاص بكل منهم مثل: الملك العزيز، الملك العادل، الملك الكامل، الملك الصالح، الملك المعظم.

ويحمل لقب الملك في معناه السيادة العليا، ويطلق على الولاة المستقلين والمستبدين بالسلطة دون الخليفة العباسي في بغداد،[٢٢] وكان يلقب به وزراء الفاطميين، واتخذه صلاح الدين حين كان وزيراً للإمام العاضد الفاطمي، ونقشه على نقوده بعد استقلاله بمصر عام ٥٧٠هـ/١١٧١م، ثم اتخذه ورثته من بعده.[٢٣]

وعلى الرغم من كثرة الألقاب التي اتخذها الأيوبيون على المنشآت المعمارية، والتحف المنقولة، وعلى بعض الإصدارات النقدية من دور ضرب أخرى،[٢٤] فإن الألقاب على إصدارات القاهرة والإسكندرية كانت مختصرة، فلم

يتخذوا لقب 'سلطان'، ولم يعرف أن أحدًا من حكام بني أيوب قد نال هذا اللقب من قبل الخليفة العباسي إلا الملك الصالح نجم الدين في عام ٦٤٣هـ، ولم يظهر إلا على دراهم فضية ضربها في دمشق عام٦٤٧هـ.[٢٥]

غير أن الظاهرة الجديدة على النقد الذهبي الأيوبي، هي اتخاذ الولاة وولاة العهد للقب 'ملك' أيضًا، فقد تلقب به العزيز عثمان بن صلاح الدين على دنانيره السكندرية، الصادرة في عهد أبيه. وكذلك اتخذ هذا اللقب الملك العادل أبو بكر (صورة٧)، أخو صلاح الدين، حين كان نائبًا عن أخيه في مصر على النص التأسيسي لقلعة الجبل، والمؤرخ بسنة ٥٧٩هـ. وكذلك اتخذه الملك الكامل على نقوده التي ضربها في حياة أبيه 'الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب وولي عهده الملك الكامل محمد'. (صورة ٨)

يعتبر الملك العادل أول وأخر من نقش اسم ولي عهده على الإصدارات الذهبية الصادرة عن دار ضرب القاهرة أو الإسكندرية، في حين لم ينقش الكامل اسمه على الإصدارات الفضية والنحاسية الصادرة عن دور ضرب الشام، مما يؤكد أن الملك الكامل ذكرها على نقوده التي ضربها كنائب عن أبيه في مصر، حيث لم تذكر المصادر التاريخية المعاصرة أن الملك العادل قد جاء إلى مصر، لانشغاله بمحاربة القوى الصليبية في بلاد الشام.

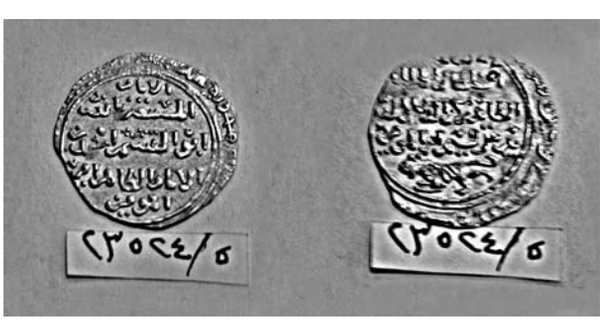

(صورة ١٠) دينار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس – دار ضرب الإسكندرية مع الخليفة العباسي المستنصر بالله.

٣ – الكتابات على النقود المملوكية

تنوعت الكتابات المسجلة على الإصدارات النقدية المملوكية ما بين عبارات دينية، وألقاب ونعوت خاصة، وأدعية، وعبارات تخص مكان وتاريخ الضرب، بالإضافة إلى الرنوك السلطانية.

ويلاحظ أن كتابات الإصدارات النقدية المملوكية قد خلت من العبارات الخاصة بضمان الجودة والعيار.

أ– العبارات الدينية

كانت تلك العبارات قليلة على الإصدارات النقدية المملوكية، الصادرة خلال الفترة المعاصرة لوجود الخليفة العباسي في بغداد، حيث احتل اسم الخليفة وألقابه ونعوته مركز ظهر الدينار المملوكي. أما بعد سقوط الخلافة العباسية ومقتل الخليفة على يد المغول، فقد حل الاقتباس القرآني 'لا اله إلا الله مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، مع تكرار هذا الاقتباس في الهامش الدائري أيضاً. وهو اقتباس لآية قرآنية من الكتاب الجليل، وأصلها 'هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ'، حيث استبدل الضارب قوله تعالى 'هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ' بوضع اسم الرسول (ص)، وكان–عبد الملك بن مروان– هو أول من أضاف هذا الاقتباس في مسكوكاته منذ تعريبها. واستمرت بعد العصر الأموي على النقود الإسلامية في عهد الدولة العباسية حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، كما نقشت العبارة على نقود الدول التابعة للخلافة العباسية وكذلك على نقود الدولة الفاطمية منذ عهد أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦هـ واستمرت حتى سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ، ونقشها الأيوبيون على نقودهم، واستمرت تنقش على النقود المملوكية بعد إضافة شهادة التوحيد 'لا اله إلا الله' إليها حتى نهاية عصر المماليك البرجية.

ويرجع السبب في انتشار نقش هذه العبارة إلى أنها تعبر عن أن الرسول (ص) مرسل من ربه لهداية الناس، وأن دين الإسلام لابد أن يظهر على كل الأديان ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره المشركون المنكرون لذلك. وقد نقشت هذه العبارة بصيغ مختلفة، فأحياناً تكتب كاملة وأحياناً أخري يحذف جزء منها.

ومع قيام الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية في مصر، عاد اسم الخليفة ليسجل على الإصدارات النقدية المملوكية المختلفة، إلا أنه لم يستمر علي كثيرًا، وبالتالي فيمكننا اعتبار الإصدارات المملوكية المسجل عليها الخليفة العباسي، إنما هي إصدارات تذكارية بمناسبة عودة الخلافة، ثم عاد الاقتباس القرآني واستمر إلى نهاية العصر المملوكي. (صور ٩، ١٠، ١١)

ومن تلك العبارات الدينية أيضًا، الاقتباس القرآني 'وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ' وهو جزء من الآية القرآنية رقم ١٢٦ من سورة آل عمران، وهو أيضًا الآية رقم ١٠ من سورة الأنفال، وظهرت لأول مرة على مسكوكات مصر الإسلامية ابتداءً من الإصدارات النقدية لفترة الحكم الثانية للناصر محمد بن قلاوون. ولعل السبب في إقدام الناصر محمد على تسجيل تلك الآية ضمن كتابات مسكوكاته هي الظروف التي تعرض لها خلال تلك الفترة من تكالب الأمراء عليه ومحاولاتهم المستمرة لانتزاع دست السلطنة من بين يديه وأفعالهم المشينة معه، فلجأ إلى طلب العون والنصر من عند الله رب المستضعفين وناصر المظلومين، وقد استمر نقش تلك الآية على مسكوكات المماليك الذهبية حتى نهاية عهد المظفر أحمد بن شيخ.

(صورة ١١) دينار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس – دار ضرب الإسكندرية بدون ذكر اسم الخليفة العباسي أعلى المتن.

ب- الألقاب والنعوت الشخصية

تميزت الإصدارات النقدية المملوكية، وخاصة الذهبية منها، والصادر عن دار ضرب الإسكندرية، بالمبالغة في اتخاذ الألقاب الملحقة بأسماء السلاطين، إذ انقسمت تلك الألقاب إلى ثلاثة أقسام:

١ – ألقاب شخصية ومنها ألقاب النسبة،

٢ – ألقاب الجهاد والقتال في سبيل الله،

٣ – ألقاب ترمز إلى الصلة بين الخليفة والسلطان.

أما بالنسبة لألقاب النسبة، فهي توضح علاقة السلطان أو المملوك بأستاذه الذي اشتراه عندما كان رقيقًا، ثم رباه وعلمه مبادئ الفروسية حتى صار فارساً محارباً، استطاع اعتلاء تخت السلطنة دون زملائه، مثل نسبة 'الصالحي' نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب مؤسس فرقة المماليك البحرية، وقد اتخذ هذا اللقب سلاطين المماليك الأوائل وخاصة الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون.

أما لقب 'المنصوري'، فهو لقب نسبة إلى المنصور قلاوون، واتخذه كل من العادل كتبغا والمنصور لاجين، حيث كانا من ضمن مماليك المنصور قلاوون.

ومن الألقاب التي اتخذها سلاطين المماليك، تعبيرًا عن الدور الحربي الذي قاموا به دفاعًا عن الإسلام، ألقاب المظفر، سيف الدنيا والدين، ركن الدنيا والدين، ناصر الدنيا والدين، ناصر الملة المحمدية، سلطان الإسلام والمسلمين.

ويرجع تلقب سلاطين المماليك بتلك الألقاب، إلى دورهم البارز في سبيل نصرة الدين، ونصرة المسلمين ضد أعدائهم من الصليبيين والمغول.

ومن تلك الألقاب، لقب 'سلطان الإسلام والمسلمين' الذي اتخذه المؤيد شيخ على إصداراته الذهبية منذ سنة ٨١٨هـ،[٢٦] وهذا اللقب يعطي الملقب به صفة دينية إذ تجعله المسلم الأول الذي اختاره الله لتأييد الإسلام والانتصار للمسلمين. وقد جاء اللقب ومترادفاته كأثر لتخلي الخلفاء عن حماية الدين لرجال الدولة من السلاطين وقد ظهر الإسلام في أشد الحاجة إلى من يتولى الدفاع عنه وحمايته بعد هجمات الصليبيين،[٢٧] وقد اتخذ هذا اللقب صلاح الدين الأيوبي على دينار الصادر عن دار ضرب دمشق سنة ٥٨٣هـ، بمناسبة انتصاره على الصليبيين واسترداده لبيت المقدس، وهو جدير به. أما من تلقب به من المماليك، فإنه إما رياء حطين من الرعية وأعيان المملكة، مثلما جري للظاهر برقوق عند الدعاء له،[٢٨] أما المؤيد شيخ فقد اتخذه، بعدما اغتصب السلطة الدينية من الخليفة، حينما امتنع عن تفويضه بالسلطنة.[٢٩]

أما لقب 'ناصر الملة المحمدية'، فهو لقب اتخذه الأشرف خليل بن قلاوون، ويعطي اللقب صاحبه صفة دينية حربية من منطلق جهوده في الدفاع عن الإسلام والرسالة والملة المحمدية، وهو ما ينطبق على تاريخ الملك الأشرف خليل؛ فقد كان ملكًا شجاعًا مقدامًا خدم الإسلام وحارب من أجله ورفع رايته، وهو لقب من ألقاب أهل السنة التي استخدمها المماليك، للدلالة على زعامتهم للعالم الإسلامي.[٣٠]

أما عن الألقاب التي ترمز إلى العلاقة بين الخليفة والسلطان، فهي توضح طبيعة العلاقات بين الخلافة العباسية وسلاطين المماليك، الذين أخذوا على عاتقهم إحياء الخلافة بعد انهيارها تحت سنابك خيل المغول، حيث استخدم المماليك النفوذ الديني للخليفة في مؤازرتهم ضد مناوئيهم من حكام المسلمين، إلا أن العلاقة بين الخليفة والسلطان لم تكن تسير على وتيرة واحدة، فتارة تكون علاقة مودة واحترام حينما يتولى السلطان بتفويض من الخليفة، وتارة يتعرض الخليفة للإهمال والنسيان حينما يكون له نفوذ يهدد السلطان في نفوس الشعب، والخلفاء أنفسهم لم تنقش أسماؤهم كثيراً وإنما ذكرت أسماء بعضهم في بداية عهد الدولة،[٣١] لاستمالة الرعية لحكم العبيد كما تورد المصادر التاريخية.

ومن تلك الألقاب التي اتخذها المماليك وتعبر عن العلاقات بين الخلافة والسلطنة، لقب 'السلطان الملك' وهو لقب مركب من لفظي السلطان والملك، واتخذه سلاطين المماليك ضمن مراسيمهم الملكية ابتداءً من عهد الملك الظاهر بيبرس؛ مكافأة له من قبل الخليفة العباسي المستنصر بالله لجهوده في إحياء الخلافة العباسية، واستمر اللقب ينقش ويكتب ضمن المراسيم السلطانية وعلى الآثار والمسكوكات المملوكية حتى نهاية العصر المملوكي.

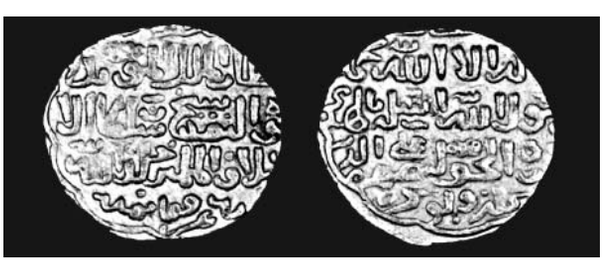

(صورة ١٢) دينار الملك المؤيد شيخ المحمودي –دار ضرب الإسكندرية.

ولقب 'قسيم أمير المؤمنين' من الألقاب الرفيعة المضافة إلى أمير المؤمنين ومعناه مقاسم أمير المؤمنين في سلطانه، وبعد إحياء الخلافة بالقاهرة منح اللقب للظاهر بيبرس مكافأة له على جهوده في خدمة الإسلام. ومنذ عصر بيبرس صار لقباً عاماً للسلاطين المماليك، أما في عصر المماليك الجراكسة فقد تدهورت قيمة الخلفاء حتى ابتعد الملوك بأنفسهم عن التلقب بهذا اللقب؛ وذلك لاستبدادهم بالملك دونهم استبداداً كلياً. على أنه ظل يطلق على بعض السلاطين مثل، المنصور لاجين والعادل كتبغا وبيبرس الجاشنكير، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا اللقب لم يعرف في الدولة الفاطمية وربما كان السر في ذلك أنه لم يتفق مع طبيعة عقائدهم.

ولقب 'مُحي الدولة العباسية' واتخذه الأشرف خليل بن قلاوون، وهو ما من الأشياء التي تدعونا للتساؤل عن سبب اتخاذ الأشرف خليل لهذا اللقب، على الرغم من أنه ليس هو من أحيا الخلافة، بل من أحياها هو الظاهر بيبرس، وربما هدف الأشرف خليل من اتخاذه هذا اللقب إضفاء الشرعية الدينية وتأييد الخلافة العباسية في القاهرة له. والواقع أن الأشرف خليل بن قلاوون قد أعاد للخليفة هيبته، وسمح له بالخطبة في القلعة، ومصاحبته في مقابلاته الرسمية. وكان لخطبة الحماس والحث على الجهاد أثرها في حماس المماليك وخروجهم مع الأشرف خليل إلى بلاد الشام وهزيمتهم الصليبيين، والاستيلاء على آخر معاقلهم في عكا عام ٦٩٠هـ،[٣٢] وكان لهذا النصر أثره في اتخاذ لقبي 'ناصر الملة المحمدية' و'مُحي الدولة العباسية'.

ويرجع السبب في اهتمام الأشرف خليل بالخليفة العباسي، أنه تولى بدون تقليد من أبيه، واكتشف ذلك بعد وفاته، فأمر بإخراج الخليفة الحاكم ليخطب في الناس بجامع القلعة، ويذكر الملك الأشرف خليل، وتوليه أمر المسلمين.[٣٣]

(صورة ١٣) دينار الملك المظفر سيف الدين قطز – دار ضرب الإسكندرية.

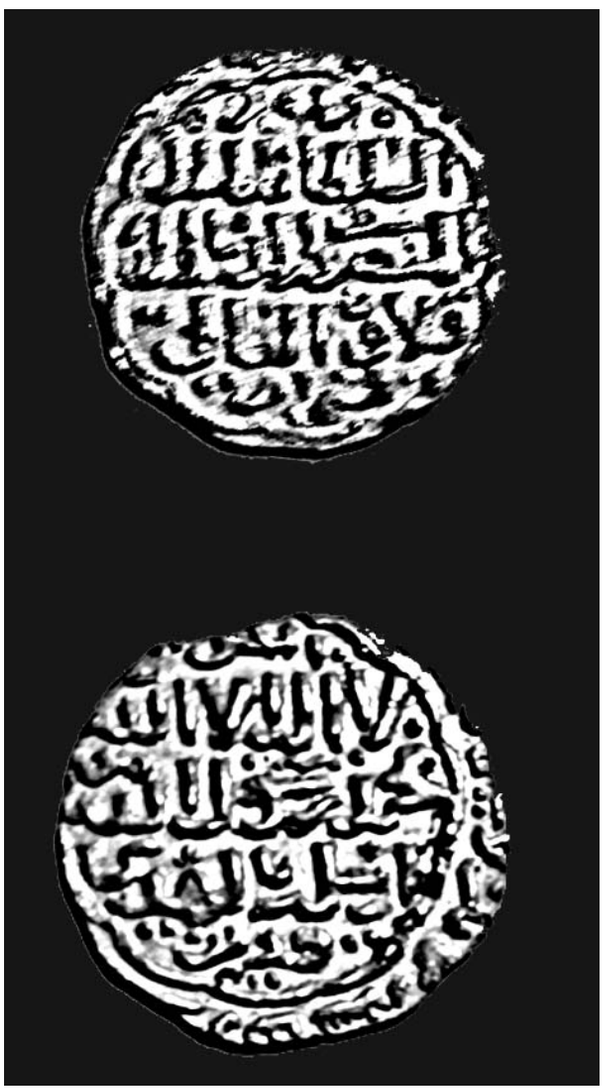

(صورة ١٤) دينار الملك المنصور سيف الدين قلاوون – دار ضرب الإسكندرية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأشرف خليل قد انفرد من بين سلاطين المماليك، سواء من سبقه

(صورة ١٥) دينار الملك الأشرف شعبان – دار ضرب الإسكندرية.

أو من أتي بعده باتخاذه هذين اللقبان (ناصر الملة المحمدية– مُحي الدولة العباسية).[٣٤]

جـ– العبارات الدعائية

اشتملت الإصدارات النقدية المملوكية على الكثير من الكتابات الدعائية بالنصر والتمكين للسلاطين، وخاصة في فترات الاضطرابات الداخلية ومن تلك العبارات:

عبارة 'خلد الله سلطانه' وهي من أوائل العبارات الدعائية ظهورًا على الإصدارات النقدية الملوكية، وجاءت ضمن كتابات الإصدار الفضي للمنصور لاجين. والمتتبع لسير الأحداث التاريخية في عهد كل من لاجين وبرقوق يتضح له السبب في تسجيل العبارة، فقد تميز عهد المنصور لاجين بالاضطرابات الداخلية والصراع على السلطة بين أمراء المنصور قلاوون للسيطرة على السلطان الصغير الناصر محمد بن قلاوون، وحادث مقتل الأشرف خليل الذي اتهم فيه لاجين، أما عهد الظاهر برقوق فحدث ولا حرج عن عدد الثورات والمؤامرات التي تعرض لها السلطان، وكثرة الطامعين في الحكم، ونجاح السلطان في القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى.

وعبارة 'خلد الله ملكه' من العبارات الدعائية الخاصة بالدعاء بتثبيت حكم السلطان، والملاحظ أن نقش تلك العبارة جاء في فترات تميزت بكثرة الاضطرابات الخارجية وخاصة في عهد الناصر محمد والناصر فرج بن برقوق، وفترة عدم الاستقرار التي تلت اغتياله.

وعبارة 'عز نصره' وهي من العبارات الدعائية الشائعة التسجيل على مسكوكات المماليك، وهي تدعو للسلطان بعز النصر على الأعداء والتمكين له، وسجلت العبارة لأول مرة على الإصدار الذهبي للمنصور علاء الدين علي.

وتظهر هذه العبارات الدعائية على الأمثلة القليلة من إصدارات دار ضرب الإسكندرية، مع كثر تنوعها في إصدارات دور الضرب الأخرى.

الخاتمة

خلاصة القول إن اسم الإسكندرية كدار للضرب قد سجل على المسكوكات المصرية، منذ عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وحتى نهاية عصر السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي وقد سجل اسم الإسكندرية على الإصدارات النقدية لتلك الفترة بعدة صيغ نذكر منها:

أولاً: في العصر الفاطمي

١ – بالإسكندريه: على نقود الخلفاء الفاطميين، فيما عدا عبد المجيد الحافظ.

٢ – بالاسكندره: على نقود عبد المجيد الحافظ.

ثانيًا: في العصر الأيوبي

١ – بالإسكندرية.

ثالثًا: في العصر المملوكي

١ – بالإسكندرية: على نقود المماليك البحرية حتى عهد المؤيد شيخ سنة ٨٢٣ هـ.

٢ – بإسكندريه: على نقود المعز أيبك، والمنصور علي، والمظفر قطز، والظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، وفلوس الظاهر برقوق(الفترة الأولى).

٣ – بالسكندرية: على نقود الظاهر بيبرس من ٦٦٢ : ٦٦٧ هـ، دينار الناصر شهاب الدين أحمد سنة ٧٤٣ هـ، وفلوس الصالح حاجي بن شعبان (الفترة الأولى).

٤ – سكندرية أو سكندريه: على نقود المنصور صلاح الدين حاجي، والظاهر برقوق، والمؤيد شيخ سنة ٨١٨ هـ، وفلوس كل من الأشرف شعبان والصالح حاجي والمنصور حاجي والظاهر برقوق والناصر فرج .

٥ – بثغر الإسكندريه المحروسة: على دينار الأشرف خليل بن قلاوون، ودينار الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٠ هـ.

الهوامش

١ سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، (جامعة القاهرة، ١٩٨٥م)، ٧.

٢ أرشيبالد لويس، القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٢٥٨.

٣ عادل زيتون، العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، (دمشق، ١٩٨٠م)، ٢٨.

٤ فايد حماد، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الإسلامي في العصر الأيوبي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٥٦.

٥ ماجد، عبد المنعم، الإمام المستنصر بالله، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٧٥.

٦ أرشيبالد لويس، القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ١٩٢.

٧ تاج الدين محمد ابن ميسر، (ت. ٦٧٧هـ)، المنتقي من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة، ١٩٨١م)، ٦٩.

٨ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت. ٨٤٥ هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، ج٣، تحقيق سعيد عاشور، (القاهرة، ١٩٧٠/١٩٧٢م).

٩ Paul Balog, *The coinage of the Ayyubids*, s*pecial publication*, no. 12, (London, 1980), 50.

١٠ Balog, *The coinage of the Ayyubid*, 49.

١١ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (دار النهضة المصرية، ١٩٥٧م)، ٥٧.

١٢ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ١١٨.

١٣ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٤٢. -Stanly Lane Poole, *Catalogue of The Collection of The Arabic Coins preserved in The Khedivial Library in Cairo*, (London, 1897), No.516, 517, 525, 533.

١٤ ذكر ابن حيون انه لما نزل قول الله تعالى 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ' (سورة الشعراء: آية ٢١٤) جمع الرسولَ صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم بضع وأربعون رجلاً، وقال لهم بعد ما أكلوا وشربوا .. يا بني عبد المطلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها، إن الله لم يبعث نبيًّا إلا له وصي ووزير ووارث وأخ وولي، فأيكم يكون وصيي ووارثي ووليي وأخي ووزيري، فسكتوا فجعل يعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً ليس منهم أحد يقبله، حتى لم يبق

منهم أحد غير علي، فعرض عليه أنا يا رسول الله فقال أنت يا علي (منصور: الكلمات والعبارات: ١٥٩ – ١٦٠).

١٥ في أثناء حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة خطب النبي في حجاج المسلمين بالقرب من غدير خم قائلا 'ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه، وعاد من عاداهن وانصر من نصره، واخذل من خذله'. انظر: عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر بالله، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٢٠٧.

١٦ عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر بالله، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٩.

١٧ فسر الشيعة ما جاء بالآية 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ' (سورة المائدة: آية ٥٥) باعتبار صلة علي بالرسول الكريم كزوج لابنته فاطمة، وأنه أول المصدقين لدعوة الإسلام، وأن الآية الكريمة 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ' (المائدة: آية ٦٧) نزلت لحث الرسول على إعلان ولاية الإمام علي للناس. ويعتبر الشيعة غدير خم مبايعة صريحة بالولاية له. عاطف منصور، الكلمات والعبارات غير الدينية على السكة الإسلامية في المغرب والأندلس، ٣٣٢.

١٨ الإمام المنتظر هو الإمام الثاني عشر لطائفة الإمامية الإثنا عشرية، و يقال إنه قد دخل سردابًا في مدينة سامراء وهو في الخامسة من عمره، ولم يقف له أشياعه على أثر منذ ذلك الحين و يعتقدون أنه سيظهر و يملأ الأرض عدلاً، ومن ثم دعي بالإمام المنتظر وصاحب الزمان والقائم بالحق . انظر: حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، (القاهرة، ١٩٣٢م)، ٤٨–٤٩.

١٩ ابن ميسر، المنتقي من أخبار مصر، ١١٦.

٢٠ Paul Balog, *The Coinage of The Mamluk Sultans of Egypt and Syria*, (New York, 1964), No. 90, 94, 112, 125, 167, 170.

٢١ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٧٩.

٢٢ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٤٩٧ – ٤٩٨.

٢٣ Balog, *The coinage of the Ayyubid*, 46.

٢٤ اتخذ صلاح الدين كثيرًا من الألقاب على إصداراته النقدية الصادرة عن دور ضرب خارج مصر، مثل لقب 'سلطان الإسلام والمسلمين' على دينار ضرب في دمشق سنة ٥٨٣هـ، بمناسبة انتصاره في موقعة حطين (Balog, *the coinage of the Ayyubid*, No.79)، ولقب 'محي دولة أمير المؤمنين' على فلس ضرب في ميافارقين سنة ٥٨١هـ (Balog, *the coinage of the Ayyubid*, No.167,168)، وعلى اللوحة التأسيسية أعلى باب المدرج بقلعة الجبل سنة ٥٧٩هـ، ولقب 'سلطان الإسلام أبو المظفر محي دولة أمير المؤمنين' على فلس ضرب نصيبين سنة ٥٧٨هـ (Balog, *the coinage of the Ayyubid*, No.172.)

٢٥ Balog, *the coinage of the Ayyubid*, No.557.

٢٦ سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية، ٦١٠–٦٤٢.

٢٧ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٣٠.

٢٨ ابن الصيرفي الجوهري، نزهة النفوس و الأبدان، جـ١، تحقيق حسن حبشي، ٣٦–٣٧.

٢٩ اتخذ المؤيد شيخ هذا اللقب على إصداراته النقدية الصادرة عن دار ضرب الإسكندرية منذ عام ٨١٨هـ، وكان المؤيد قد خلع عليه الخليفة المستعين واستقر أمير كبير، وفوض إليه الحكم بالديار المصرية، إلا أنه استبد بالحكم، وضيق على الخليفة و نقله من القصر إلى بعض الدور بالقلعة. وفي مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ اجتمع القضاة الأربعة، وجميع الأمراء، وقرروا أن الأحوال ضائعة ولا تستقيم إلا بإقامة سلطان كالمعتاد، ودعوا للأمير شيخ، فلم يوافق إلا برضى أهل الحل والعقد، فبايعه قاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، وبعد تقليده أرسل القضاة إلى الخليفة ليسلموا عليه، ويشهدوا عليه بأنه فوض إليه السلطنة، فتوقف الخليفة في الإشهاد عليه، واشترط أن يؤذن له في النزول من القلعة إلى داره، وأن يحلف له السلطان بأنه ينصحه سرًا وجهرًا، و عاد القضاة إلى السلطان فرفض، واستدعى السلطان داود بن الخليفة المتوكل على الله في سادس عشر من ذي الحجة سنة ٨١٦ هـ، وبحضور القضاة الأربعة، فألبسه خلعة سوداء وأجلسه بجانبه، فانصرف القضاة، على أن داود استقر في الخلافة، ولم

يتم خلع المستعين ولا بويع داود هذا بل خلع عليه فقط، وصار بعض الخطباء يدعون للخليفة دون تسميته، ومنهم من اقتصر على الدعاء للسلطان. انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، ٢٤٤–٢٧٤.

٣٠ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٥٣٠.

٣١ يلاحظ الفرق في مدى شرعية الخلافة العباسية ببغداد والخلافة العباسية في القاهرة، فقد كان ذكر اسم الخليفة على النقود من حقوق الخلافة وشاراتها، وأن عدم ذكر اسم الخليفة العباسي في بغداد، مهما كان نفوذه قوة أو ضعفًا وسوء العلاقة أو حسنها مع حكام أي دولة كان يعني امتناع الناس عن تداول نقود هذه الدولة، لأنها لا تكتسب الشرعية المتمثلة في شخصية الخليفة، لذا تمسك حكام الدويلات الإسلامية بنقش اسم الخليفة حتى سقوط الخلافة العباسية، بعكس الخلافة في القاهرة التي اعتبرها المماليك واجهة لاستمداد شرعيتهم في حكم البلاد، ووسيلة إرهاب للدويلات الإسلامية الأخرى التي تنزع إلى مجابهتها. انظر: محمد باقر الحسيني، الكنى والألقاب على نقود المماليك البحرية والبرجية في مصر والشام، مجلة المورد، العدد الأول، (١٩٧٥م)، ٥٧.

٣٢ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ٧٦٤.

٣٣ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، المجلد الثامن، تحقيق قسطنطين رزيق،(١٩٣٩م)، ١٢٨. يرجع السبب في اهتمام الأشرف خليل بن قلاوون بالخليفة العباسي، أنه تولى بدون تقليد من أبيه الذي رفض التوقيع بتقليده أو توليته العهد، بعد أن فوضه ولاية العهد في شعبان سنة ٦٨٧ هـ، وحلف له الأمراء والمقدمون والعساكر، إلا أن أباه رفض توقيع التقليد رافضًا ولايته على المسلمين، فلما توفي المنصور قلاوون طلب الأشرف التقليد، ولما رآه بغير علامة السلطان قال إن السلطان امتنع أن يعطيني وقد أعطاني الله. انظر: المقريزي، جـ١، ٧٥٦، وكذلك ابن الفرات، ٩٨.

٣٤ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ٧٦٤.